دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	نزول القرآن على سبعة أحرف : محاولة لفهم جديد
المصدر:	دراسات - علوم الشريعة والقانون
الناشر:	الجامعة الأردنية - عمادة البحث العلمي
المؤلف الرئيسي:	المجالي، محمد خازر
المجلد/العدد:	مج 23, ع 1
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1996
الشهر:	تموز - صفر
الصفحات:	33 - 47
رقم MD:	325244
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	الأحرف السبعة، نزول القرآن، القراءات السبعة، علوم القرآن، ألفاظ القرآن، اللغة العربية
رابط:	https://search.mandumah.com/Record/325244

© 2018 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

نزول القرآن على سبعة أحرف
محاولة لفهم جديد

محمد خازر المجالي*

ملخص

يهدف هذا البحث إلى إيجاد معنى مقبول للأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن، الموضوع الذي إن لم نفهمه جيداً فسيشكل علينا فهم حقيقة اختلاف قراءة القرآن عند القراء المتأخرين.

وقد بينت الدراسة أن الآراء السابقة لم تعط المعنى الشامل للأحرف، وذلك في ضوء حقيقة أن معناها يجب أن يكون مستوعباً لكل أنواع الاختلافات بين القراءات لأن مصدرها الرسول صلى الله عليه وسلم عن الوحي.

والذي أراه في هذه المسألة أن الأحرف السبعة هي وجوه من القراءة مختلفة بلا تعارض، قرأ بها الرسول صلى الله عليه وسلم بأمر من الله، تسهيلاً على المسلمين وموضحة لإعجاز القرآن العظيم في قيمة الكلمة وثراء المعنى الناتج عن اختلاف القراءة بها. وهذه الوجوه هي في حدها الأعلى سبعة بحسب ما تقتضيه الكلمة من توسعة في القراءة بها، وهي شاملة لكل ما هو ثابت مما ذكره العلماء في اختلاف القراءة. وكل هذه الوجوه نقلت على شكل روايات، وما عند المتأخرين كالقراء السبعة والعشرة هو ناتج عن هذه الوجوه مجتمعة لا عن وجه بعينه.

مقدمة

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات اعمالنا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، عليه وآله وصحبه أفضل الصلاة وأتم السلام، وبعد:

فموضوع الأحرف السبعة التي أنزل عليها القرآن موضوع أرهق العلماء قديماً وحديثاً، وتنوعت فيه آراؤهم إلى حد جعل طالب العلم في حيرة منها، بل صرح بعض العلماء بأن هذا الموضوع من المتشابه الذي ليس لنا سبيل إلى معرفة حقيقته[1]. ولعلاقة الأحرف بالقرآن والقراءات التي يقرأ بها فإن خطورة هذا الموضوع تزداد، فأصبح من لا يفهم حقيقتها متعرضاً لأنواع من الشبه والمسائل المشكلة التي لربما تشككه في هذه القراءات المتلوة عن الأئمة، في أصلها وسبب الاختلاف فيها.

من هنا ونظراً لكون كثير من الأقوال الواردة في معنى الأحرف السبعة يكمل بعضها بعضا، او أنها صرحت بشيء مما تشتمل عليه الأحرف لا كله، وبالتالي فلا تفي بكل الأغراض التي من الأولى ان تقنع الدارس لهذا الموضوع، فقد رأيت أن ادلي بدلوي في هذا الشأن، موجهاً الأقوال الواردة في شأن الأحرف وضرورة أن يشمل معناها كل أنواع الاختلاف الواردة في قراءات الأئمة المتواترة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وبالتالي ضرورة أن يكون هناك معنى آخر لهذه الأحرف غير مباين لما ورد فيها وإنما اشمل منها وأكثر اقناعا وقبولاً، لاسيما اذا أخذت المسألة بتجرد وبلا تعصب لرأي مما قد أدلى به الأئمة العلماء قديماً وحديثاً.

وقد رأيت أن أقسم هذا البحث الى الفصول الخمسة التالية:

الفصل الأول: عرض أهم الأحاديث الواردة في الأحرف السبعة وأقوال العلماء في صحة سندها.

الفصل الثاني: استعراض الآراء المتداولة بين العلماء والتي نقلت في كتب علوم القرآن وغيرها في معنى الأحرف السبعة.

الفصل الثالث: تأصيل مسألة مهمة وهي ضرورة ان يشمل معنى الأحرف السبعة كل انواع الاختلافات الثابتة عن الرسول عليه الصلاة والسلام والتي قرأ بها القراء فيما بعد، فإن لم نقل بذلك كانت النتيجة ان مما يقرأ عن هؤلاء الأئمة إنما هو من تصرفهم او تصرف من اخذوا عنه القراءة، وهذا لم يقله أحد من العلماء المعتبرين.

الفصل الرابع: مناقشة الآراء بناء على القاعدة التي نود تأصيلها في النقطة السابقة واستنتاج: هل تفي هذه الآراء بكل ما له علاقة بمسائل الاختلاف أم لا؟

الفصل الخامس: عرض الرأي الذي نرتضيه في المسألة والأدلة عليه.

هذا وإني لا أزعم انني سآتي بجديد، فحاصل ما سأذهب

---

* أستاذ مساعد، قسم أصول الدين، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية.
تاريخ استلام البحث ١٩٩٥/١/١٥ وتاريخ قبوله ١٩٩٦/١/٨.

(١) من هؤلاء السيوطي، حيث صرح بهذا الرأي، انظر سنن النسائي بشرح السيوطي، دار احياء التراث العربي، بيروت، جـ ٢، ص ١٥٢.

اليه هو توفيق بين آراء العلماء وتوضيح لبعض ما فاتهم الاشارة اليه، وهو جهد قابل للأخذ والرد، فإننا مازلنا نرى حيرة العلماء في هذه المسألة، فما بالنا اذاً بالطلبة والعوام، فأسأل الله ان أكون قد وفقت في رأيي هذا، والحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول

أهم الأحاديث الواردة في نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف

لقد رجعت إلى أهم كتب السنة، ووجدت ان هناك أحاديث كثيرة رويت عن عدد كبير من الصحابة رضوان الله عليهم، وهذا ما يؤكد ما ذهب اليه بعض العلماء من تواتر الخبر بحديث الأحرف السبعة[٢]، والذي يعنينا هنا هو ذكر أهم هذه الأحاديث، فمنها:

أ - روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل استزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة أحرف»، وزاد مسلم: «قال ابن شهاب أحد رجال السند: بلغني أن تلك السبعة أحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً لا يختلف في حلال ولا حرام»[٣].

ب - عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أساوره في الصلاة، فتبصرت حتى سلم فلببته بردائه فقلت: من اقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: اقرانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: كذبت، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اقرانيها على غير ما قرأت، فانطلقت به اقوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: اني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ارسله، اقرأ يا هشام، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذلك انزلت، ثم قال: اقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي اقراني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذلك انزلت، ان هذا القرآن انزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه»[٤].

جـ - روى مسلم عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال: «كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة انكرتها عليه، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: ان هذا قرأ قراءة انكرتها عليه ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه فأمرهما فقرأا، فحسن النبي صلى الله عليه وسلم شأنهما، فسقط في نفسي من التكذيب ولا اذ كنت في الجاهلية، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد غشيني ضرب في صدري ففضت عرقا وكأنما انظر الى الله فرقا، فقال لي يا أبي: ارسل الي ان أقرأ القرآن على حرف، فرددت اليه ان هون على أمتي، فرد الي الثانية اقرأه على حرفين، فرددت اليه أن هون على أمتي، فرد الي الثالثة: اقرأه على سبعة أحرف»[٥].

د - روى مسلم عن أبي بن كعب ان النبي صلى الله عليه وسلم كان عند اضاة بني غفار، قال فأتاه جبريل عليه

---

(٢) ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت، جـ١، ص ٢١، حيث يورد عن أبي عبيد القاسم بن سلام حول تواتر حديث الأحرف السبعة وتأكيد ابن الجزري لذلك. وانظر شاهين، عبد الصبور، تاريخ القرآن، ط ١، دار القلم، ص ٢٥-٢٦، ١٩٦٦، وذكر تعليقات مهمة حول أحاديث الأحرف السبعة، ومما قاله أن (١٥) صحابياً رووا الأحاديث من (٤٦) سنداً، منها (٨) فقط ضعيفة.

(٣) انظر رواية البخاري في الصحيح المطبوع مع فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، جـ٩، ص ٢٣ برقم ٤٩٩١، ورواية الامام مسلم في صحيحه، ط ١٩٨٣، دار الفكر، بيروت، جـ١، ص ٥٦١ برقم ٨١٩. وقد اثبت أبو داود أيضا هذه الزيادة في سننه، دار الفكر، بيروت، جـ٢، ص ٧٦ برقم ١٤٧٦.

(٤) هذا لفظ البخاري كما رواه في صحيحه، انظر فتح الباري، جـ ٩، ص ٢٣ برقم ٤٩٩٢، ورواه في مواضع أخرى في صحيحه بلفظ (هكذا أنزلت)، انظر على سبيل المثال فتح الباري، جـ ٤، ص ٧٣. ورواه مسلم في صحيحه، جـ ١، ص ٥٦ برقم ٨١٨، ومالك بن أنس في الموطأ، ط ١٩٨٥، دار احياء التراث العربي، بيروت، جـ١، ص ٢٠١، وأبو داود في السنن، جـ ٢، ص ٧٥ برقم ١٤٧٥، والنسائي في السنن، جـ٢، ص ١٥٠ وبأكثر من وجه، ورواه الترمذي في جامعة المطبوع مع تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري، دار الفكر، بيروت، جـ٨، ص ٢٦٥ برقم ٤٠١٤. ورواه الامام أحمد بن حنبل في المسند، المكتب الاسلامي، بيروت، جـ١، ص ٢٤.

(٥) صحيح مسلم، جـ١، ص ٥٦٢ برقم ٨٢٠، وانظر سنن النسائي، جـ٢، ص ١٥٣.

السلام فقال: ان الله يأمرك ان تقرأ امتك القرآن على حرف، فقال: «أسأل الله معافاته ومغفرته وان امتي لا تطيق ذلك»، ثم اتاه الثانية فقال: ان الله يأمرك أن تقرأ امتك القرآن على حرفين، فقال: «أسأل الله معافاته ومغفرته وان امتي لا تطيق ذلك»، ثم جاءه الثالثة فقال: ان الله يأمرك أن تقرأ امتك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال: «أسأل الله معافاته ومغفرته وان امتي لا تطيق ذلك»، ثم جاءه الرابعة، فقال: ان الله يأمرك أن تقرأ امتك القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا[٦].

هـ - روى الترمذي عن أبي بن كعب قال: «لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل فقال: يا جبريل اني بعثت الى أمة أميين منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتابا قط، قال: يا محمد ان القرآن انزل على سبعة أحرف». وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح[٧].

و - روى أبو داود عن أبي بن كعب قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا أبي اقرئت القرآن فقيل لي على حرف أو حرفين، فقال الملك الذي معي: قل على حرفين، قلت: على حرفين، فقيل لي: على حرفين أو ثلاثة، فقال الملك الذي معي: قل على ثلاثة، حتى بلغ سبعة أحرف، ثم قال: ليس منها الا شاف كاف ان قلت سميعاً عليماً عزيزاً حكيماً ما لم تختم أية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب[٨]».

ز - روى أحمد عن أبي بكرة ان جبريل عليه السلام قال: «يا محمد اقرأ القرآن على حرف، قال ميكائيل عليه السلام استزده فاستزاده، قال: اقرأه على حرفين، قال ميكائيل استزده، فاستزاده حتى بلغ سبعة أحرف، قال: كل شاف كاف ما لم تختم أية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب نحو قولك تعال واقبل وهلم واذهب واسرع واعجل»[٩].

هذه أهم الأحاديث الواردة في المسألة وهي تبرز النقاط التالية:

أ - اختلاف قراءة الصحابة وتصويب الرسول صلى الله عليه وسلم قراءتهم وعزوه ذلك الى نزول القرآن على سبعة أحرف.

ب - ان من الحكم التي انزل بسببها القرآن على سبعة أحرف هو التيسير والتخفيف والتوسعة على الناس بأن يختاروا ما تيسر منها.

جـ - انه رغم نزول القرآن على سبعة أحرف فلا تعارض بينها.

وأما عن صحة هذه الأحاديث فالخمسة الأولى صحيحة، والسادس اسناده قوي ولم يعلق عليه ابن حجر عند ايراده في شرح معنى الأحرف[١٠]، وأما السابع فمع ان في سنده علي بن زيد وهو سيء الحفظ، الا أن الحديث روي بطرق أخرى منها ما أخرجه الطبري في تفسيره عن عبد الله بن مسعود: «اني قد سمعت القراء فوجدتهم متقاربين فاقرأوا كما علمتم واياكم والتنطع فإنما هو كقول احدكم هلم وتعال»، واسناد الحديث قوي كما أشار الى ذلك السيد أحمد شاكر[١١].

ومن الجدير بالذكر أن بعض الشيعة ينكر مسألة الأحرف السبعة وأحاديثها التي ذكرنا شيئا منها، ومن الذين وضحوا هذا الرأي وتحمسوا له أبو القاسم الموسوي الخوئي، ويروي عن أئمتهم ان القرآن واحد نزل من عند واحد، ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة، ويوضح ان المرجع بعد النبي عليه السلام في أمور الدين إنما هو كتاب الله وأهل البيت، فلا قيمة للروايات اذا كانت مخالفة لما يصح عنهم، ولذلك لا يهمنا ان نتكلم عن أسانيد هذه الروايات، وكان قد ذكر قبل ذلك عدداً منها عن أهل السنة، وذكر بعد ذلك بعض التناقضات التي تطعن في هذه الروايات على حد زعمه، وان

---

(٦) صحيح مسلم، جـ١، ص ٥٦٢ برقم ٨٢١، ورواه كذلك أبو داود في السنن، جـ٢، ص ٧٦ برقم ١٤٧٨، والنسائي في السنن، جـ٢، ص ١٥٢. وأضاة بني غفار هي موضع في المدينة كما ذكر ابن حجر في فتح الباري، جـ٩، ص ٢٨.

(٧) انظر تحفة الأحوذي، جـ٨، ص ٢٦٣ برقم ٤٠١٣.

(٨) سنن أبي داود، جـ٢، ص ٧٦ برقم ١٤٧٧.

(٩) مسند الامام أحمد، جـ١، ص ٥١.

(١٠) الحديث رواه أبو داود فقال: حدثنا أبو الوليد الطيالسي ثنا همام بن يحيى بن يعمر عن سليمان بن صرد الخزاعي عن أبي بن كعب. وأبو الوليد الطيالسي هو هشام بن عبد الملك وهو ثقة ثبت، وهمام ثقة ربما وهم، وقتادة هو ابن دعامة السدوسي ثقة ثبت، ويحيى بن يعمر ثقة فصيح كان يرسل، أما سليمان بن صرد وأبي فهما صحابيان. انظر في ترجمة هؤلاء، ابن حجر، تقريب التهذيب، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٥. ومواضع الترجمة هي على الترتيب: جـ٢، ص ٣١٩، جـ٢، ص ٣٢١، جـ ٢، ص ١٢٣، جـ٢، ص ٣٦١، جـ١، ص ٣٢٦.

(١١) الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مؤسسة المعارف، بيروت، جـ٧، ص ١٥٤، حول ما قيل في علي بن زيد، وذكر ابن حجر ايضا بأنه ضعيف، انظر تقريب التهذيب، جـ٢، ص ٣٧. وانظر قول أحمد شاكر في حاشية تفسير الطبري، محمد بن جرير، الطبعة المحققة بتحقيق أحمد ومحمود محمد شاكر، جـ١، ص ٥٠ - ٥١.

الأحرف كانت نقمة على الأمة حيث دعت فيما بعد الى أن يكفر بعض المسلمين بعضاً، فلا يجوز ان يطلب الرسول ما فيه فساد الأمة[١٢]. ولما كان رأيهم هذا مخالفاً للأسس التي عليها أهل السنة، فإني أغض الطرف عنه، حيث لا وجود لأحرف سبعة عندهم.

الفصل الثاني

أهم الآراء في معنى الأحرف السبعة

أود التركيز هنا على ثلاثة آراء هي المتداولة بين العلماء والتي عليها معظمهم قديما وحديثا، وسأعرض الآراء وما يتعلق بها دون مناقشة، فالمناقشة تأتي في النقطة الرابعة من البحث، وأما الآراء فهي:

أ - الرأي القائل بأن الأحرف هي سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد، فالقرآن أنزل بسبع لغات وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بقراءته على سبعة ألسن[١٣]، وهو رأي الطبري الذي يدعم رأيه بالحديث القائل: (كقولك هلم وتعال) الذي مر معنا، فيقول الطبري: «فقد أوضح نص هذا الخبر ان اختلاف الأحرف السبعة إنما هو اختلاف ألفاظ كقولك هلم وتعال باتفاق المعاني لا باختلاف معان موجبة اختلاف احكام»[١٤]، ويضيف: «الأحرف السبعة التي أنزل الله بها القرآن هي لغات سبع في حرف واحد وكلمة واحدة باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني، كقول القائل هلم واقبل وتعال وإليّ وقصدي ونحوي وقربي ونحو ذلك، مما تختلف فيه الألفاظ بضروب من المنطق وتتفق فيه المعاني، وان اختلفت بالبيان به الألسن، كالذي روينا آنفا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمن روينا ذلك عنه من الصحابة ان ذلك بمنزلة قوله هلم وتعال واقبل»[١٥].

ويضيف الطبري: «فإن قال قائل: ففي أي كتاب الله نجد حرفا واحداً مقروءاً بلغات سبع مختلفات الألفاظ متفقات المعنى فنسلم لك بصحة ما ادعيت من التأويل في ذلك، قيل انا لم ندع ان ذلك موجود اليوم وإنما اخبرنا ان معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم انزل القرآن على سبعة أحرف على نحو ما جاءت به الاخبار التي تقدم ذكرنا لها وهو ما وصفنا دون ما ادعاه مخالفونا في ذلك... فإن قال: فما بال الأحرف الأخر الستة غير موجودة ان كان الامر في ذلك على ما وصفت، وقد أقرأهن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وأمر بالقراءة بهن وأنزلهن الله من عنده على نبيه، انسخت فرفعت فما الدلالة على نسخها ورفعها ام نسيتهن الأمة، فذلك تضييع ما قد أمروا بحفظه أم ما القصة في ذلك، قيل له لم تنسخ فترفع ولا ضيعتها الأمة وهي مأمورة بحفظها، ولكن الأمة امرت بحفظ القرآن وخيرت في قراءته وحفظه بأي تلك الأحرف السبعة شاءت... فرأت لعلة من العلل أوجبت عليها الثبات على حرف واحد قراءته بحرف واحد ورفض القراءة بالأحرف الستة الباقية ولم تحظر قراءته بجميع حروفه على قارئة بما اذن له في قراءته به»[١٦].

ثم يورد الطبري سؤالاً مفاده ما العلة التي أوجبت عليها الثبات على حرف واحد دون الأحرف الستة الباقية، فيجيب بما ورد في الآثار الصحيحة من قصة حذيفة حين قدم أمير المؤمنين عثمان وأشار عليه بضرورة حل الخلاف بين المسلمين، وما تم بعد ذلك من نسخ الصحيفة الموجودة عن حفصة في المصاحف وارسالها الى الأمصار... القصة[١٧]، فالطبري يعقب بعد ذكر الأحاديث الواردة في قصة حذيفة مع عثمان ويقول بأن هذه الأخبار والآثار الدالة «على أن إمام المسلمين وأمير المؤمنين عثمان بن عفان رحمة الله عليه، جمع

---

(١٢) انظر قوله في البيان في تفسير القرآن، ط٢، مطبعة الآداب، النجف، ص ١٩٣-١٩٥، ١٩٨-١٩٩، ١٩٦٦. ومن الأمور التي يبرزها حول الأحاديث كمتناقضات ان بعضها دل على ان الزيادة كانت بالتدريج بينما الأخرى تدل انها كانت مرة واحدة، وان بعضها دل على ان الزيادة كانت في مجلس واحد وبارشاد ميكائيل بينما الأخرى تدل على ان جبريل كان ينطلق ويعود مرة بعد مرة، وأورد هنا رد عبد الصبور شاهين في كتابه (تاريخ القرآن)، ص ٣١ بأن هذه «ملاحظات شكلية مادامت نتيجة المواقف دائما الأمر او الاخبار او الترخيص بالقراءة على سبعة أحرف، ويهون من شأن هذه الشكليات كثرة الطرق التي انتقل بها الحديث... فالثابت المتواتر في نظرنا هو هذه النهاية التي أجمع عليها هذا الجمهور من الرواة والأسانيد»، ويذكر الخوئي ان بعض الروايات تدل على أن ثمة نزاعاً وقع في تحديد عدد آيات سورة، فيكون الجواب بأن اقرأوا كما علمتم، وهذا تناقض بين السؤال والجواب، ويجيب عبد الصبور شاهين كذلك ص ٣١ بأن هذا هو الجواب المناسب، اذ الاختلاف في عدد آيات سورة ما يأتي من اعتبار ان آيتين قد اندمجتا في آية او لا، وذلك يتوقف عى صورة التلقي، فتناسب الجواب مع السؤال. أما عن ان الاحرف نقمة...، فنقول ان لا عبرة بجهل بعض المسلمين حين صدر منهم ما صدر، فسبب ذلك كان الجهل وانتشار مصاحف الصحابة، فلما زال السبب بما فعل عثمان عادوا الى رشدهم.

(١٣) تفسير الطبري، دار المعرفة، بيروت، جـ١، ص ١٥، ١٩٨٧.

(١٤) المصدر السابق، جـ ١، ص ١٧.

(١٥) المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٠.

(١٦) المصدر السابق، جـ١، ص ٢٠.

(١٧) الحديث مروي في كتب السنة ومنها صحيح البخاري، العسقلاني، فتح الباري، جـ٩، ص ١١، حديث رقم ٤٩٨٧.

المسلمين نظراً منه لهم واشفاقا منه عليهم ورأفة منه بهم، حذار الردة من بعضهم بعد الاسلام والدخول في الكفر بعد الايمان، اذ ظهر من بعضهم بمحضره وفي عصره التكذيب ببعض الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن، مع سماع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم النهي عن التكذيب بشيء منها، واخباره اياهم ان المراء فيها كفر، فحملهم رحمة الله عليه اذ رأى ذلك ظاهراً بينهم في عصره وبحداثة عهدهم بنزول القرآن وفراق الرسول اياهم، بما امن عليهم معه عظيم البلاء في الدين من تلاوة القرآن على حرف واحد، وجمعهم على مصحف واحد او حرف واحد، وحرق ما عدا المصحف الذي جمعهم عليه وعزم على كل من كان عنده مصحف مخالف المصحف الذي جمعهم عليه ان يحرقه، فاستوثقت له الأمة على ذلك بالطاعة ورأت ان فيما فعل من ذلك الرشد والهداية، فتركت القراءة بالأحرف الستة التي عزم عليها امامها العادل في تركها، طاعة منها له ونظراً لانفسها ولمن بعدها من سائر أهل ملتها، حتى درست من الأمة معرفتها وتعفت آثارها، فلا سبيل لأحد اليوم الى القراءة بها لدثورها وعفو آثارها، وتتابع المسلمون على رفض القراءة بها من غير جحود منها صحتها وصحة شيء منها، ولكن نظراً منها لأنفسها ولسائر أهل دينها، فلا قراءة اليوم للمسلمين الا بالحرف الواحد الذي اختاره لهم امامهم الشفيق الناصح دون ما عداه من الأحرف الستة الباقية»[١٨].

ثم يورد الطبري سؤالاً مفاده ان كيف جاز للأمة ترك قراءة قرأها الرسول صلى الله عليه وسلم وأمرهم بقراءتها فيجيب: «ان امره اياهم بذلك لم يكن امر ايجاب وفرض، وإنما كان أمر اباحة ورخصة، لأن القراءة بها لو كانت فرضا عليهم لوجب ان يكون العلم بكل حرف من تلك الأحرف السبعة عند من يقوم بنقله الحجة، ويقطع خبره العذر ويزيل الشك من قراءة الأمة، وفي تركهم نقل ذلك كذلك أوضح الدليل على انهم كانوا في القراءة بها مخيرين»[١٩].

وأما بخصوص أنواع الاختلاف في القراءة مما سوى المترادفات فيقول الطبري: «فأما ما كان من اختلاف القراءة في رفع حرف وجره ونصبه وتسكين حرف وتحريكه، ونقل حرف الى آخر مع اتفاق الصورة فمن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: (امرت ان اقرأ القرآن على سبعة احرف) بمعزل، لأنه معلوم انه لا حرف من حروف القرآن مما اختلف القراء في قراءته بهذا المعنى يوجب المراء به كفر الممارى به في قول احد من علماء الأمة، وقد أوجب عليه الصلاة والسلام بالمراء فيه الكفر من الوجه الذي تنازع فيه المتنازعون اليه، وتظاهر عنه بذلك الرواية على ما قد قدمنا ذكرها...»[٢٠].

وأخيراً يورد الطبري سؤالاً مفاده ان ما هي الألسن التي أنزل القرآن عليها وأي الألسن هي من ألسن العرب فيجيب: «أما الألسن الستة التي قد نزلت القراءة بها فلا حاجة بنا الى معرفتها، لاننا لو عرفناها لم نقرأ اليوم بها مع الأسباب التي قدمنا ذكرها»[٢١] ثم يورد آثاراً حول ما هي السبعة ولم يرجح شيئا منها.

وقد أطلنا الحديث عن هذا الرأي وآثرنا اقتباس كلام الطبري لغاية، وهي أن كل من اخذ برأيه يعتمد على هذه الكلمات فأحببنا ان نرد عليها كلها ولا نزيد ولا ننقص منها شيئا. ومن الجدير بالذكر ان هذا الرأي ينسب للطبري لأنه هو الذي فصل فيه ودافع عنه بمثل ما رأينا، والا فقد سبقه في هذا الرأي بعض السلف كسفيان بن عيينه وابن وهب[٢٢].

وثمة نقطة اخيرة حول هذا الرأي وهي ما يضيفه المتحمسون له من بعض المسائل الموضحة أو المتممة لما ذكر الطبري. فهذا الدكتور محمد ابو شهبة يقول: «وليس معنى هذا أن كل كلمة كانت تقرأ بسبعة ألفاظ من سبع لغات، بل المراد ان غاية ما ينتهي اليه الاختلاف في تأدية المعنى هو سبع، فالمعنى الذي تتفق فيه اللغات في التعبير عنه بلفظ واحد يعبر عنه بهذا اللفظ فحسب، والذي يختلف التعبير عنه بلفظين وتدعو الضرورة الى التوسعة يعبر عنه بلفظين وهكذا الى سبع[٢٣]. وأبو شهبة اثناء حديثه عن الأحرف يروي عن الطبري ويزيد بأن الحرف الذي جمع عثمان عليه الناس هو حرف قريش[٢٤].

ب - الرأي القائل بأنها سبع لغات من لغات العرب متفرقة في القرآن، بمعنى ان القرآن الكريم لا يخرج عن سبع لغات هي أفصح لغات العرب، وقال ابو عبيد بأن ليس المراد ان كل كلمة تقرأ على سبع لغات بل اللغات السبع متفرقة فيه فبعضه

(١٨) تفسير الطبري، جـ١، ص ٢٢.

(١٩) المصدر السابق، جـ١، ص ٢٢.

(٢٠) المصدر السابق، جـ١، ص ٢٣.

(٢١) المصدر السابق، جـ١، ص ٢٣.

(٢٢) القرطبي، أبو عبد الله محمد، الجامع لأحكام القرآن، ط٢، مكتبة الرياض الحديثة، جـ١، ص ٤٢، والزركشي، الامام بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ط٣، دار الفكر، بيروت، جـ١، ص ٢٢، ١٩٨٠. السيوطي، جلال الدين، الاتقان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، جـ١، ص ٦٢.

(٢٣) أبو شهبة، محمد، المدخل لدراسة القرآن الكريم، ط ٣، دار اللواء، الرياض، ص ١٧٦، ١٩٨٧.

(٢٤) المصدر السابق، ص ١٧٧ - ١٧٨.

بلغة قريش وهكذا[٢٥].

واختلف أصحاب هذا الرأي في تحديد اللغات ما هي، ومما ورد انها قريش وهذيل وتميم وثقيف وهوازن وكنانة واليمن. وهذا الرأي منسوب لأبي عبيد وتبناه البيهقي واقتصر عليه ابن منظور في لسان العرب[٢٦].

هذا وقد وجدت اضطرابا عند العلماء في تحديد من هو أبو عبيد هذا. فقد ذكر بعضهم أنه القاسم بن سلام، وذكر آخرون أنه احمد بن محمد الهروي[٢٧]، وغير هؤلاء يكتفون بذكر أبي عبيد، وممن تحمس لهذا الرأي من المتأخرين العلامة شهاب الدين محمود الآلوسي[٢٨].

ج - الرأي القائل بأنها وجوه التغاير السبعة التي لا تخرج القرارات عنها مهما كثرت وتنوعت في الكلمة الواحدة، وقد ذكر هذا الرأي مجموعة من العلماء مثل الرازي والباقلاني وابن الجزري ويذكر ابن قتيبة معهم مع انه ذكر ابتداء رأيه بأنها سبعة أوجه من اللغات متفرقة في القرآن، وبعد ذلك يقول: «وقد تدبرت وجوه الخلاف في القراءات فوجدتها سبعة أوجه»[٢٩] ثم يذكرها.

والملاحظ على هؤلاء العلماء أنهم اتبعوا ابن قتيبة فيما ذهب اليه من ذكر وجوه الاختلاف وعدلوا في هذه الأوجه السبعة، ولعل أقوى هذه ما ذهب اليه الرازي حيث نعرض الوجوه التي ذكرها وأما غيرها فهو قريب منها. وهذه الوجوه هي:

١ - اختلاف الأسماء من افراد وتثنية وجمع وتذكير وتأنيث.
٢ - اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر.
٣ - اختلاف وجوه الاعراب.
٤ - الاختلاف بالزيادة والنقصان.
٥ - الاختلاف بالتقديم والتأخير.
٦ - الاختلاف بالابدال.
٧ - اختلاف اللغات، أي اللهجات، كالفتح والامالة والترقيق والتفخيم والاظهار والادغام[٣٠].

ويدعي القائلون بهذا الرأي بأنه يتمشى مع الحكمة التي من أجلها أنزل القرآن على سبعة أحرف، وانه شامل لكل أنواع الاختلاف في القراءات وذلك بعد الاستقراء[٣١].

الفصل الثالث

ضرورة أن تكون الأحرف شاملة لكل أنواع الاختلاف

هذه النقطة هي المرتكز لما سيأتي من نقاش لهذه الآراء، وكذلك لما سنبني رأينا عليه، وحتى تدرس هذه النقطة أقول بأنه لا بد من ذهن حاضر متحرر من كل ما علق به بسبب تحمس لرأي او عدم رضا عن آخر وهكذا، فالمسألة بحاجة الى موضوعية والى رجوع الى الأصل فيها الا وهو الرسول صلى الله عليه وسلم.

وأجدني مضطراً اولاً الى تأكيد مسألة يجمع عليها العلماء وهي أن الاختلاف في قراءات القراء راجع الى قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم، فهي ليست بالتشهي فكل قارئ نقلها عن شيوخه وهكذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وبناء عليه فاختلاف القراءات مرده الى ما كان يقرؤه الرسول صلى الله عليه وسلم. وان لم نقل بهذا كان هناك احتمال آخر وحيد وهو ان هؤلاء كانوا يقرأون كما يحلو لهم، مادام يلفظ بذلك أو مادام احتمله رسم المصحف. وهذا لم يقل به أحد من العلماء. ونحن نؤكد ضرورة أن يفهم الجميع هذا كي لا يتطرق أدنى شك الى تصرف القراء بهذه القراءة.

وإذا فهمنا هذا نبحث في النقطة الرئيسة وهي: هل ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه وجه المختلفين في قراءاتهم الى غير ما علمنا من انزال القرآن على سبعة أحرف؟ والجواب مهم لكي نثبت ان اختلاف القراءات راجع الى الأحرف السبعة، لا انها هي الأحرف.

وأستطيع القول وبكل ثقة، وبعد استعراض الأحاديث الواردة في كتب السنة وكتب التفسير وعلوم القرآن بأنه لم يثبت عن الله صلى الله عليه وسلم الا ما ذكر عن الأحرف، واليها وجه اختلافاتهم وبناء عليها صوب قراءاتهم كما تبين

---

(٢٥) الجزري، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية، بيروت، جـ١، ص ٣٦٩، وانظر الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، جـ١، ص ١٧٣.

(٢٦) انظر المرجعين السابقين وما قاله ابن منظور، محمد بن مكرم، في لسان العرب، دار صادر، بيروت، جـ٩، ص ٤١.

(٢٧) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، جـ١، ص ٢١٧، حيث ذكر الأول، وابن الجزري في النشر، جـ١، ص ٢٤، حيث ذكر الثاني، وأنا أرجح الثاني وذلك أن أبا عبيد القاسم بن سلام له كتاب (لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم) ويذكر فيه عدداً كبيراً من اللغات وبناء عليه فلا أظن أنه صاحب الرأي. انظر الكتاب المذكور بتحقيق عبد الحميد السيد طلب، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، ١٩٨٤.

(٢٨) الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، جـ١، ص ٢١، ١٩٨٥.

(٢٩) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، ط ٣، ١٩٨١، حيث يذكر رأيه ص ٣٤ ثم يتحدث عن وجوه الخلاف في القراءات، ص ٣٦ - ٣٧.

(٣٠) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، جـ١، ص ٢٦، الزرقاني، مناهل العرفان، جـ ١، ص ١٤٨، تاريخ القرآن، ص ٣٧ - ٣٨.

(٣١) الزرقاني، مناهل العرفان، جـ١، ص ١٥٠.

الأحاديث المذكورة وغيرها مما هو شبيه بها.

وأما ما كان يقرأ به بعض الصحابة بابدال كلمة مكان أخرى مما هو مرادف لها، فإن الاجابة عليه ان ذلك اما مما وردت فيه قراءة عن النبي صلى الله عليه وسلم لكنه نسخ في العرضة الأخيرة، او انه مما كان يضعه بعض الصحابة على سبيل التفسير. وبهذا نجيب عما ورد عن ابن حجر انه قال: «ثبت عن غير واحد من الصحابة انه كان يقرأ بالمرادف ولو لم يكن مسموعا له»[٣٢]. فهذا اولا فعل للصحابي وليس بملزم، ثم الأولى ان نقول بأن ذلك مما اشتهر عنهم على سبيل التفسير. وبهذا أجاب كثير من العلماء قديماً وحديثاً، وان القراءة لم تكن بالتشهي كما ذكرابن حجر نفسه قبل كلامه السابق، اذ يقول بعد بيان ان الأحرف أتاحت لهم القراءة بأكثر من وجه فيقول: «ان الاباحة المذكورة لم تقع بالتشهي»[٣٣].

هذا هو الحق والا كان ذلك مخالفا لما اجمع عليه الصحابة والتابعون بأن القراءة سنة، كما ثبت عن غير واحد منهم. فقد ذكر ابن مجاهد جملة من الآثار عن الصحابة حول هذا المعنى، فيروي عن ابن مسعود: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم»، وعن علي بن أبي طالب أنه قال: «ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم ان تقرأوا كما علمتم»[٣٤]. وذكر ابن مجاهد عن ابن أبي عمرو بن العلاء الذي كان امام عصره في اللغة وقد أصبح رأسا في القراءة والتابعون احياء، وقرأ على جلة من التابعين: مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ويحيى بن يعمر، وكان لا يقرأ بما لم يتقدمه فيه احد[٣٥].

ويقول ابن الجزري: «روينا عن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت رضي الله عنهما من الصحابة وعن ابن المنكدر وعروة بن الزبير وعمر بن عبد العزيز وعامر الشعبي من التابعين انهم قالوا، القراءة سنة يأخذها الآخر عن الأول فاقرؤا كما علمتموه، ولذلك كان كثير من أئمة القراءة كنافع وابي عمرو يقول احدهم: لولا انه ليس لي ان أقرأ الا بما قرأت لقرأت حرف كذا كذا وحرف كذا كذا»[٣٦]. ومن هنا يقول ابن تيمية: «ليس لأحد ان يقرأ قراءة بمجرد رأيه، بل القراءة سنة متبعة»[٣٧].

(٣٢) العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري، جـ٩، ص ٢٧.

(٣٣) المصدر السابق، جـ٩، ص ٢٧.

(٣٤) ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ص ٤٦-٤٧.

(٣٥) المصدر السابق، ص ٤٨.

(٣٦) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، جـ١، ص ١٧. وانظر هذه الروايات مفصلة في، ابن مجاهد، أبو بكر أحمد، السبعة في القراءات، ص ٥٠-٥٢.

(٣٧) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه، تصوير ط١، الرياض، جـ١٣، ص ٣٩٩.

فهذه الآثار ان دلت على شيء فإنما تدل على ان القراء ما كانوا يقرأون الا ما سمعوا عن شيوخهم، الى ان ينتهي ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم والذي بالتالي أوضح ان اختلاف القراءة انما هو راجع الى نزول القرآن على سبعة أحرف.

وبناء عليه نصل الى النقطة المهمة الا وهي ضرورة ان يشمل مفهوم الأحرف السبعة كل أنواع الاختلاف في القراءة التي قراها القراء الثقات، وتواترت عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وأي رأي لا يشملها فهو ناقص، فتعريفنا للشيء يجب ان يكون جامعا لكل مفرداته والا كان ناقصا. واذ قد بينا ذلك ننتقل الى مناقشة الآراء السابق ذكرها.

الفصل الرابع

مناقشة الآراء

أ - سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد:

وهي المترادفات المختلفة الألفاظ المؤدية نفس المعنى، ولم يبق منها الا حرف واحد اثبته عثمان، كما صرح بذلك الطبري ومر معنا، ونرد على هذا الرأي بما يلي:

١ - ان هذا الرأي اعتمد اعتماداً كلياً على الآثار المروية التي مفادها أن الأحرف السبعة (كلها شاف كاف ما لم تختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب نحو قولك تعال وأقبل وهلم واذهب واسرع واعجل) الذي رواه أحمد، وحديث (ليس منها الا شاف كاف ان قلت سميعاً عليماً عزيزاً حكيماً ما لم تختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب) وقد ذكرناهما سابقا وغيرهما مما هو شبيه بهما ولم نذكره فنقول: ان الطبري صرح بأن رأيه اعتمد فيه على هذه الأحاديث. بينما نجد العلماء قد وجهوا هذه الأحاديث الى غير ما ذهب اليه الطبري، فهذا ابن عبد البر يقول معلقا عليها: «إنما أراد بهذا ضرب المثل للحروف التي نزل القرآن عليها انها معان متفق مفهومها مختلف مسموعها لا يكون في شيء منها معنى وضده، ولا وجه يخالف معنى وجه خلافا ينفيه ويضاده كالرحمة التي هي خلاف العذاب وضده»[٣٨]. ويقول ابن حجر: «المراد ان الكلمة الواحدة تقرأ على وجهين وثلاثة وأربعة تهوينا وتيسيراً، والشيء الواحد لا يكون حراما وحلالاً في حالة واحدة»[٣٩].

(٣٨) الزركشي، الامام بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، جـ١، ص ٢٢١.

(٣٩) العسقلاني، فتح الباري، جـ٩، ص ٢٩. وانظر كذلك مجموع فتاوى ابن تيمية، جـ١٣، ص ٣٩٠-٣٩١.

٢ - على فرض ان المقصود بالأحرف هذه المترادفات فأي تسهيل على القارئ يجنيه من تلاوة الكلمة بمرادف لها؟ قد يكون ذلك في الشيء القليل ولكن ايعقل ان نصرف مفهوم الأحرف الى هذا الجانب فقط؟ فماذا يضير القاريء اذا قال أقبل أو عجل؟ هو أداء آخر يستطيعه لا محالة الا اذا كان قد تعود بأن لا يقول اقبل بل تعال وهذا بعيد عن روح الحديث الذي ينص على التوسعة والتيسير والتخفيف عما قد يعانيه بعض الناس من أداء اللفظ على وجه دون آخر وهذا الأولى بأن يصرف اليه التركيز في توجيه معنى الأحرف لا ماذهبوا اليه وحده.

٣ - ان تمسك هؤلاء بالرواية الصحيحة التي وجه فيها عثمان زيدا والنفر القرشيين الى كتابة القرآن وأنه ترك الأحرف الأخرى وابقى حرف قريش، ان تمسكهم هذا بحاجة الى اعادة نظر من عدة جوانب:

أ - انه لا توجد أية رواية تنص على أن عثمان رضي الله عنه ألغى ستة احرف وابقى واحداً، وكل الذي ورد عنه هو أنه: «أمر زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ان ينسخوها في المصاحف وقال لهم: اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت في عربية من عربية القرآن فاكتبوه بلسان قريش»[٤٠]. فمن خلال الروايتين نرى ان لا دليل على الغاء ستة وابقاء واحد، ثم ان الأمر متعلق بالكتابة، حيث سياق الحديث يدل على ذلك، وكذلك تذكر الروايات انهم اختلفوا في كتابة كلمة (تابوت) ورفع الاختلاف الى عثمان فكتبت بلسان قريش (تابوت) وليس (تابوة)[٤١].

ب - الثابت ان عثمان رضي الله عنه راعى وجود الوجوه الأخرى الثابتة قطعياً في كتابة المصاحف، دل على ذلك اختلاف مصاحف الأمصار كما هو واضح لكل قارىء في كتب القراءات، فهذا ان دل على شيء فإنما يدل على أن عثمان رضي الله عنه لم يكن فعله بأن الغى احرفا وأبقى واحداً ولو كان ذلك كذلك لما اختلفت المصاحف في زيادة او نقصان، وهذا أمر مفصل في كتب القراءات يرجع اليه هناك.

(٤٠) الحديثان رواهما البخاري، العسقلاني، فتح الباري، جـ٩، ٨-١١، الأول برقم ٤٩٨٤ والثاني برقم ٤٩٨٧.

(٤١) العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري، جـ٩، ص ٢٠.

جـ - ان كانت الستة فعلاً قد الغيت وانهى عثمان بذلك الاختلاف، فما بالنا نجدهم مختلفين في قراءاتهم؟ أجابوا بأن هذه الاختلافات في قراءة الكلمة الواحدة ليست راجعة الى الأحرف بل الى حرف واحد[٤٢]، ويا عجبا من هذا، كيف يكون ذلك. وان العلماء مجمعون بأن القراءة ليست بالتشهي وانما هي سنة يأخذها الآخر عن الأول حتى في طريقه الأداء، وإلا قرأ كل على نهجه وكما يحلو له وذلك مردود باتفاق، ثم من قال ان اختلاف المصاحف او القراءات انما هو في كيفية أداء الكلمة واختلاف تشكيلها فقط، مع علمنا بأن ذلك يغير المعنى لا محالة، ولكن زيادة على ذلك فإنها تختلف بأهم من ذلك، وهو بوجود كلمات غير متفقة المعنى لكنها غير متضادة كمثل (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثاً) (الزخرف، آية ١٩)، وقرئت: (الذين هم عند الرحمن)[٤٣]، فأين المترادف واين الاختلاف في أداء الكلمة؟ وما علاقة (وهو الذي يرسل الرياح بُشْراً بين يدي رحمته) (الأعراف، آية ٥٧)، بـ (نُشْراً)[٤٤] هل هما مترادفتان أم أنهما قرئتا هكذا من الرسول صلى الله عليه وسلم، وقل مثل ذلك ايضا في (هنالك تلو كل نفس ما اسلفت) (يونس، آية ٣٠)، وقرئت: (هناك تتلو)[٤٥]، وغيرها.

د - لنسلم بأن الستة الغيت وبقي واحد: فما بالنا نجد بعض المترادف مثل (فتبينوا، فتثبتوا) و (يسيركم، ينشركم)[٤٦] وغير ذلك، هل عصت الأمة

(٤٢) وقد ذكر الطبري ذلك فيما اقتبسناه عنه، ويؤيده كل الذين أخذوا برأيه، انظر أبو شهبة، محمد، في المدخل لدراسة القرآن، ص ١٧٩، حيث ينقل كلام ابي شامة المؤيد لكلام الطبري ويتحمس له.

(٤٣) قرأ المدنيان وابن كثير وابن عامر ويعقوب (عند)، وقرأ الباقون (عباد)، ابن الجزري، النشر، جـ٢، ص ٣٦٨.

(٤٤) قرأ عاصم (بُشْراً)، وقرأ ابن عامر (نُشْراً)، وقرأ حمزة والكسائي وخلف (نَشْراً)، وقرأ الباقون (نُشُراً)، ابن الجزري، النشر، جـ٢، ص ٢٦٩.

(٤٥) قرأ حمزة والكسائي وخلف (تتلو)، وقرأ الباقون (تبلو)، ابن الجزري، النشر، جـ٢، ص ٢٨٣.

(٤٦) الأولى من سورة الحجرات، آية ٦، والنساء، آية٩٤، وقرأ حمزة والكسائي وخلف (فتثبتوا)، وقرأ الباقون (فتبينوا)، انظر النشر، جـ ٢، ص ٢٥١، والثانية من سورة يونس، آية ٢٢، وقرأ ابو جعفر وابن عامر (يَنْشُرُكم)، وقرأ الباقون (يشيِّركُم)، ابن الجزري، النشر، جـ٢، ص ٢٨٢.

خليفتها فعادت وقرأت بما منعها منه كما نص على ذلك الطبري فيما اقتبسنا عنه[٤٧]!؟

٤ - ولنعد الى اصل المسألة في رأي هؤلاء ونقارنه بما اتفقنا عليه في النقطة السابقة من ضرورة ان يكون مفهوم الأحرف شاملاً لكل أنواع الاختلاف فنقول: هل يغطي هذا المفهوم هذه الاختلافات؟ ان الناظر لأول وهلة يجيب بالنفي، وهم أنفسهم أدركوا ذلك وقالوا بأن كيفية أداء الكلمة هو بمعزل عن معنى الأحرف لأنه لا مراء فيه، وهذا كلام خطير، فمعلوم ان الكلمة تتغير كليا اذا اختلف تنقيطها أو تشكيلها، وان العلماء لم يكتفوا بشكل الرسم وأن تقراه كما شئت بل بأن يوافق ما سمعت - وهو الأهم - ما هو مرسوم أمامك. وهذه مسألة شددنا عليها، وان لم نقل بها كان الأمر مباحاً لكل ان يقرأ كما يشاء، وبناء عليه فإننا مضطرون لأن نقول بأنه يجب على مفهوم الأحرف ان يغطي كل أنواع الاختلاف، وقولنا بأنها مترادفات لا يغطي الا الجزء اليسير من هذه الاختلافات.

- فماذا نقول عن طريقة أداء الكلمة وهذا راجع الى اللهجات في اختلافها في اللفظ من تفخيم وترقيق ومد وامالة وهمز وغير ذلك مما يفصل فيه علماء القراءة؟ كل ذلك قرأ به الرسول صلى الله عليه وسلم.
- وماذا نقول عن اختلاف تنقيط الكلمة والذي يؤدي الى اختلاف المعنى؟ كل ذلك قرأ به الرسول صلى الله عليه وسلم وهو وحي.
- وماذا نقول عن اختلاف تشكيل الكلمة وهو يؤدي الى اختلاف المعنى والاعراب؟ كل ذلك وحي.
- ماذا نقول عن زيادة حرف أو نقصانه؟ انه يزيد في المعنى وكل ذلك وحي.

فماذا نقول عن كل ذلك يا ترى مع علمنا بأن الرسول صلى الله عليه وسلم وجه المختلفين الى مضمون معنى الأحرف السبعة.

٥ - لقد أجاب العلماء بمقصد عثمان عندما قال: (اكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم) اضافة لما قلنا من ان المقصود بالأمر هو الكتابة، وأيضاً بما ورد عن عمر انه قال لابن مسعود: «ان القرآن لم ينزل بلغة هذيل فأقرىء الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل»[٤٨] فأجاب أبو شامة مثلا بقوله: «يحتمل ان يكون مراد عمر ثم عثمان بقولهما «نزل بلسان قريش» ان ذلك كان أول نزوله[٤٩]. ونضيف بأن اللهجة الغالبة على طريقة أداء كلماته هي لهجة قريش كما ذكر ذلك القرطبي عن ابن عبد البر: «قول من قال ان القرآن نزل بلغة قريش معناه عندي في الأغلب والله أعلم، لأن غير لغة قريش موجودة في صحيح القراءات من تحقيق الهمزات ونحوها»[٥٠].

٦ - ان المتتبع لرأي الطبري يجد انه في الحقيقة ردة فعل لما كان شائعاً في زمانه من آراء أخرى وبالتحديد ان الأحرف هي سبع لغات متفرقة في القرآن، وكان رده على ذلك حسناً سنورده في سياق مناقشتنا له، أو انها سبعة معان من الأمر والنهي والوعد والوعيد والجدل والقصص والمثل، فرد عليه أيضاً وأجاد في رده الى أن اضطره ذلك الى القول بأنها سبعة السنة او لغات مخالفا بذلك ما ذهب اليه هؤلاء، ثم انه اضطر بعد ذلك الى التمسك بظاهر ما في الحديث من انها كقولك هلم وتعال... الخ.

٧ - ان مما اضطر الطبري الى القول برأيه ما كان شائعاً من كتابة بعض الصحابة للمترادف في مصاحفهم، فيذكر ابن حجر أمثلة من ذلك بعد ذكره قصة مقدم حذيفة الى أمير المؤمنين عثمان محذراً من الفتنة، فمما يورده ان اثنين اختلفا في آية من سورة البقرة، قرأ هذا (وأتموا الحج والعمرة لله) (البقرة، آية ١٩٦)، وقرأ هذا (وأتموا الحج والعمرة للبيت). وان أهل الكوفة قالوا: قراءة ابن مسعود، وأهل البصرة قالوا: قراءة أبي موسى[٥١]. وورد أيضاً أن ابن مسعود كان يقرأ (كالصوف المنفوش)،

(٤٧) وانبه هنا الى أن لا حجة للخوئي في استناده الى رأي الطبري بشأن ما فعل عثمان، فيصرح الخوئي في كتابه (البيان)، ص ١٩٨-١٩٩ بأن حجة وجود الأحرف السبعة هي التوسعة على الأمة لأنهم لا يستطيعون القراءة على حرف، فاستناداً الى أن عثمان - كما يقول الطبري - قد حصر القراءة فيما بعد في حرف واحد، فإن هذا يرد الحديث القائل بأن أمتي لا تطيق القراءة على حرف واحد، وقد استطاعت ذلك زمن عثمان، فالحديث كذب على الرسول عليه السلام، وزاد الخوئي بأن كيف لعثمان ان يسد باب الرحمة، وهل كان ارحم بالمسلمين من النبي عليه الصلاة والسلام؟ ونحن من جهتنا لم نسلم للطبري برأيه هذا، فكل ما بني عليه مردود من أمثال هذا الانتقادات، وكان الأجدر بالخوئي ان يعيد النظر في رأي الطبري لا في الحديث الصحيح.

(٤٨) العسقلاني، فتح الباري، جـ ٩، ص ٢٧.

(٤٩) العسقلاني، فتح الباري، جـ ٩، ص ٢٧.

(٥٠) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، جـ ١، ص ٤٤.

(٥١) العسقلاني، فتح الباري، جـ٩، ص ١٨.

القارعة، آية ٥ ، بدل (كالعهن المنفوش) وغير ذلك كثير من زيادة بعض الكلمات كمن قرأ (وله أخ أو أخت من أم) بزيادة (من أم)[٥٢] فكل ذلك إنما هو على سبيل التفسير أو مما قرئ به ثم نسخ في العرضة الأخيرة كما يقول جمهور العلماء[٥٣].

٨ – لقد اضطر بعض المتحمسين لرأي الطبري الى الوقوع في أخطاء جسيمة في سبيل الانتصار لرأيهم، فهذا الشيخ القطان يرد على الرأي القائل بأن الأحرف السبعة هي أوجه التغاير السبعة ويقول: «وهذا لا يسلم لهم في كل وجه من وجوه الاختلاف التي يذكرونها، كالاختلاف بالزيادة والنقص في مثل قوله تعالى (وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار) (التوبة، آية ١٠٠)، وقرئ (من تحتها الأنهار) بزيادة من[٥٤]. مع ان هذه القراءة ثابتة قرأ بها ابن كثير بزيادة كلمة «من» وكذلك هي في المصاحف المكية كما يقول ابن الجزري[٥٥]. فهذه الهفوات الخطيرة قادهم اليها أن رأيهم غير شامل لمثل هذه الأنواع من الاختلاف والتي هي راجعة الى معنى الأحرف السبعة.

وقبل ان أختم مناقشتي أنبه الى ان هذا الرأي ربما شجع بعض الشيعة على رد أحاديث الأحرف السبعة، فهذا الخوئي ينتقد القول بجواز ابدال كلمات القرآن بأخرى تقاربها في المعنى كما تفيد بعض الأحاديث، ويقول بأن هذا يوجب هدم أساس القرآن[٥٦]. ونقول بأن رأي الطبري هذا مرجوح بما وجه العلماء به هذه العبارات كما مر في المناقشة، فلا حجة للخوئي اذاً[٥٧].

ب – سبع لغات من لغات العرب متفرقة في القرآن:

هذا رأي أبي عبيد وجمهور من العلماء وأضافوا اليه بعض الضوابط بأن ليس المقصود ان كل كلمة تقرأ على سبع لغات بل هي لغات متفرقة فيه، فبعضه بلسان قريش وبعضه بلسان هذيل وهكذا كما ذكرنا أثناء عرضنا له، ونرد عليه بما يلي:

١ – ما هذه اللغات؟ فهذه قضية اختلف فيها، واعتمدوا على آثار عن ابن عباس وغيره في تحديدها ويكفي في الرد على هذا الرأي اضطراب الروايات في تحديد اللغات ما هي.

٢ – ان في القرآن أكثر من سبع لغات على ما يذكر العلماء، فكيف يا ترى نحصر مفهوم الأحرف في هذه اللغات، وان وجود لغة ثامنة كاف لدحض هذا الرأي. ولقد وجدنا العلماء في تصانيفهم يذكرون الكلمات الواردة في القرآن من لغات شتى، فها هو الزركشي ومن ثم السيوطي عقد كل منهما فصلاً حول ما وقع في القرآن من غير لغة أهل الحجاز من قبائل العرب[٥٨]. وقد عرض ابن حجر الاعتراض نفسه وما أجاب به أصحاب الرأي بأن المقصود هو أفصح هذه اللغات[٥٩]. والحقيقة أن هذا كلام غير علمي لأنه لا يمكن اخضاعها للتدقيق فليس هناك من اتفاق على أفصح سبع لغات.

٣ – لقد أجاب الطبري على هذا الرأي فقال: «إن كانت الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن عندك كما قال هذا القائل، متفرقة في القرآن مثبتة اليوم في مصاحف

---

(٥٢) انظر هذه الأمثلة في ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، جـ١، ص ٢٨–٢٩. وهذه الآية ١٢ من سورة النساء.

(٥٣) ابن الجزري، النشر، جـ١، ص ٣٢، وفتح الباري، جـ٩، ص ٣٠.

(٥٤) القطان، مناع، مباحثات في علوم القرآن، ط ٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص ١٦٦، ١٩٨٠.

(٥٥) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، جـ٢، ص ٢٨٠.

(٥٦) انظر البيان، ص ١٩٦–١٩٨، حيث يورد رواية للطبري في تفسيره، جـ١، ص ٥٤، حول الذي افتتن وكان يكتب الوحي للرسول عليه السلام، فيملي عليه سميع عليم... وينشغل عنه، ثم يستفهم من الرسول: اعزيز حكيم، او سميع عليم...، فيجيبه الرسول عليه السلام بأن أي ذلك كتبت فهو كذلك، ففتنه ذلك. ونرد بأن الحديث مرسل، فهو عن يونس بن عبد الاعلى انبانا ابن وهب قال حدثنا يونس عن ابن شهاب قال اخبرني سعيد بن المسيب، ان الذي افتتن، الحديث، ثم ان في السند شخص مجهول هو ابن وهب كما قال ابن حجر في تهذيب التهذيب، ط١، دار الفكر، بيروت، جـ١٢، ص ٣٣٨، ١٩٨٤، وفيه يونس بن يزيد ووهم احيانا في روايته عن ابن شهاب، انظر التهذيب، جـ ١١، ص ٣٩٦.

(٥٧) كما يورد الخوئي ص ١٩٦–١٩٧ حديثا آخر عند الطبري في تعليم ابي الدرداء رجلا الآية (ان شجرة الزقوم طعام الأثيم)، الدخان، ٤٤، وجعل الرجل يقول (طعام اليتيم)، فلما أكثرعليه ابو الدرداء فراه لا يفهم قال: (طعام الفاجر)، بأن ذلك يدل على جواز التبديل والتوسعة، وهذا لا يجوز، فنقول بأن الرواية تدل على ان ابا الدرداء أورد كلمة تفيد معنى (الأثيم) كي يفهمها ذلك الرجل فلربما لم يعرفها من قبل، فتكون قراءته على سبيل التفسير.

(٥٨) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، جـ١، ص ٢٨٣–٢٨٦، السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، جـ١، ص ١٧٥–١٧٨، ومناهل العرفان، جـ١، ص ١٧٤، ولغات القبائل الواردة في القرآن، وكل الكتاب حول هذا الموضوع.

(٥٩) العسقلاني، فتح الباري، جـ٩، ص ٢٦.

أهل الاسلام، فقد بطلت معاني الأخبار التي رويناها عمن رويتها عنه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم اختلفوا في قراءة سورة من القرآن، فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر كلا أن يقرأ كما علم، ولأن الأحرف السبعة اذا كانت لغات متفرقة في جميع القرآن فغير موجب حرفا من ذلك اختلافاً بين تاليه، لأن كل تال فإنما يتلو ذلك الحرف تلاوة واحدة على ما هو به في المصحف وعلى ما أنزل، وإذا كان ذلك كذلك بطل وجه اختلاف الذين روي عنهم أنهم اختلفوا في قراءة سورة وفسد معنى أمر النبي صلى الله عليه وسلم كل قارئ منهم أن يقرأه على ما علم، إذ كان لا معنى هنالك يوجب اختلافا في لفظ ولا افتراقا في معنى، وكيف يجوز ان يكون هنالك اختلاف بين القوم والمعلم واحد والعلم واحد غير ذي أوجه»[٦٠].

٤ - كلام الطبري السابق حجة على أصحاب هذا الرأي فيما لو قصدوا أن القرآن أبعاض، بعضه بلغة كذا وبعضه بلغة كذا، ولنفرض ان أصحاب هذا الرأي لم يقصدوا ذلك بل مجمل رأيهم ان الاختلاف الوارد في بعض الكلمات أو الجمل راجع الى اختلاف اللغات، بمعنى آخر أنه قريب من رأي الطبري لكنه أوسع منه في أن ذلك لا يشمل المترادفات فقط بل غيرها، مما تختلف فيه اللهجات العربية كطريقة أداء الكلمة واختلاف الاعراب وهكذا، فلو سلمنا بذلك فإننا وبناء على ما ذهبنا اليه من ضرورة اشتمال معنى الأحرف على جميع أنواع الاختلاف في القراءات نقول: ماذا عن أنواع الاختلاف الأخرى التي لا يمكن بحال أن ترجع أنى اختلاف اللغات؟ فمثلاً:

أ - ماذا عن الزيادة والنقصان كقوله تعالى: (وسارعوا الى مغفرة من ربكم)، (آل عمران، آية ١٣٣)، وقرئت بدون واو. وقوله: (والذين اتخذوا مسجداً) (التوبة، آية ١٠٧)، وقرئت بلا واو، وقوله: (ووصى بها إبراهيم) (البقرة، آية ١٣٢)، وقرئت (وأوصى)، ومثل: (إن الله هو الغني الحميد) (الحديد، آية ٢٤)، وقرئت بدون هو، ومثل: (ما تشتهيه الأنفس) (الزخرف، آية ٧١)، وقرئت (تشتهي) بدون هاء، ومثل: (جنات تجري تحتها الأنهار) (التوبة، آية ١٠٠)، وقرئت (من تحتها الأنهار) وغير ذلك كثير مبسوط في مواضعه[٦١]. فلئن سلمنا بأن بعض هذه الزيادات له علاقة باللهجات فماذا عن البعض الآخر، إلا أن يكون هنالك وجه آخر خارج عن اللهجات وأن تكون هكذا أنزلت لحكمة يريدها الله لبيان اعجاز كتابه.

ب - ماذا عن بعض الألفاظ التي ترد مفردة وأحيانا على صيغة الجمع؟ أكان من عادة بعض العرب الا ينطق الا بلفظ الجمع أو الأفراد حتى تكون هذه الاختلافات راجعة الى اللغات!؟ بل نؤكد ان ذلك ايضا مقصود لحكمة يريدها الله في بيان اعجاز كتابه اضافة الى التسهيل في اللهجات. فماذا نقول عن قوله تعالى: (وتمت كلمة ربك) (الأنعام، آية ١١٥)، وقرئت (كلمات) وقل مثل ذلك في (سراجا) وقرئت (سرجا)، وهكذا[٦٢].

ج - ماذا عن تغيير الكلمة كليا مع عدم تعارض المعنى؟ فهل يعقل أن بعض اللهجات تلفظ به واللهجات الأخرى تلفظ بالآخر؟ ولقد أوردنا نماذج من هذه الأمثلة في ردنا على الطبري في النقطة الثالثة فرع (ج) فليرجع اليها هناك. والسؤال الذي يطرح نفسه أن هذه الاختلافات غير راجعة الى اللهجات واللغات بل لأمور تزيد المعنى وهي مقصودة أصلاً توضح اعجاز هذا القرآن في إثراء المعنى.

د - ماذا عن ورود بعض الكلمات بطريق الخطاب وبعضها بالغيبة كمثل (يعملون، تعملون) (ترجعون، يرجعون) وهكذا؟ وماذا عن اختلاف تصريف

(٦٠) تفسير الطبري، جـ ١، ص ١٩.

(٦١) لمزيد من هذه الأمثلة انظر مكرم، عبد العال سالم وأحمد مختار عمر، معجم القراءات القرآنية، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، جـ١، ص ٤٥-٤٩، ١٩٨٢. أما عن القراءات، ففي آية آل عمران، قرأ المدنيان وابن عامر (سارعوا)، وقرأ الباقون (وسارعوا)، وفي آية التوبة قرأ المدنيان وابن عامر (الذين)، وقرأ الباقون (والذين)، وفي آية البقرة قرأ المدنيان وابن عامر (واوصى)، وقرأ الباقون (ووصى)، وفي آية الحديد قرأ المدنيان وابن عامر بغير (هو) والباقون بزيادة (هو)، وفي آية الزخرف قرأ المدنيان وابن عامر وحفص (تشتهيه)، وقرأ الباقون (تشتهي)، وفي آية التوبة، ١٠٠، قرأ ابن كثير (من تحتها)، وقرأ الباقون (تحتها)، انظر وعلى الترتيب النشر، جـ٢، ص ٢٤٢، ٢٨١، ٢٢٢، ٣٨٤، ٣٧٠، ٢٨٠.

(٦٢) بالنسبة لآية الانعام، ووردت كذلك في يونس وغافر، فقد قرأ الكوفيون ويعقوب (كلمة) في الآيات الثلاث، ووافقهم ابن كثير وأبو عمرو في يونس، وقرأ الباقون (كلمات)، واما كلمة (سراجا) فمن سورة الفرقان، ٦١، قرأ حمزة والكسائي وخلف (سُرُجاً)، وقرأ الباقون (سراجاً)، انظر على الترتيب النشر، جـ٢، ص ٢٦٢، ٣٣٤.

الأفعال كقوله تعالى: (قال كم لبثتم) (المؤمنون، آية ١١٤)، وقرئت (قل)[٦٣]، فهل من المعقول أن نرجع هذا الى اللغات، بل اننا نجزم بأن هذا كله وغيره انما هو راجع الى وجوه قرأ بها الرسول صلى الله عليه وسلم وهي كلها وحي.

إننا بناء على ما سبق نرد هذا الرأي لقصوره عن الاحاطة بكل أنواع الاختلاف في القراءات.

جـ - سبعة أوجه من التغاير:

وقد بينا مقصد القائلين به أثناء عرضنا له، ويمكن الرد عليهم بما يلي:

١ - أنهم اختلفوا في تحديد هذه الأوجه السبعة، فكل واحد منهم يشترك مع غيره في بعضها ويختلف عنهم في شيء، ومن هنا فإنه يتشكل عندنا أكثر من سبعة أوجه، وحتى لو قلنا بأن بعضها غير صحيح والصحيح ما ذكره الرازي وقد حددها بسبع كما مر معنا فإننا نقول:

أ - إن ذكره للتقديم والتأخير كوجه مستقل لا نسلم له به لأنه قد يندرج ضمن الاختلاف بالابدال أو أي وجه آخر قريب منه.

ب - إن جعل اختلاف اللهجات كله وجها واحداً فيه نظر، فلسائل أن يقول: لماذا لا أجعل التفخيم والترقيق وجها، والامالة وجها، والمد وجها وهكذا... وبعبارة أخرى ما هو القياس الذي صنفوا هذه الوجوه بناء عليه؟

٢ - ان القائلين بهذا الرأي بنوا رأيهم على استقراء القراءات وحصر ما بينها من اختلافات والزموا انفسهم بجعلها سبعا، لتوافق نص حديث الأحرف السبعة وهذا هو التكلف، فلماذا نلزم أنفسنا بذلك ولربما يكون لنا سعة في آراء أخرى.

٣ - ان من أوائل من ذكر أوجه الاختلاف في القراءات هو ابن قتيبة، وقد بينا فيما سبق أن ابن قتيبة لم يقصد بهذه الوجوه انها معنى الأحرف، بل هي استقراء للاختلاف في القراءات بناء على وجود الأحرف، بمعنى ان الاختلاف في القراءات نتيجة لوجود الأحرف لا الأحرف نفسها.

٤ - ان المتتبع لهذه الأوجه يرى أنها بعيدة عن روح نصوص الأحاديث الواردة في اباحة القراءة وعلى أي حرف، فهل افهم من الحديث انهم كانوا يقرأون في البداية اختلاف الأسماء ما بين إفراد وتثنية وجمع وتذكير وتأنيث، ثم أبيح لهم أن تكون في اختلاف وجوه الاعراب ثم في اختلاف اللهجات وهكذا؟ إن هذا عجيب حقا، بل الأقرب الى المنطق ان في كل واحدة من هذه جاءت التوسعة، فكانت بوجه واحد من الإعراب ثم أكثر، وبوجه واحد من ورود الكلمة مفردة ثم جمعاً، وبأداء الكلمة على وجه موافق للهجة ثم أكثر من وجه وهكذا، وكل ذلك موافق لتسهيل القراءة وتخفيفها على الناس من ناحية ولأهداف أخرى مقصودة في بيان اعجاز القرآن واثراء معناه من ناحية أخرى.

٥ - لقد استبعد بعض العلماء هذا الرأي لكون الرخصة في القراءات انما وقعت وأكثرهم يومئذ لا يكتب ولا يعرف الرسم وانما كانوا يعرفون الحروف بمخارجها[٦٤] وهذا حق، فإن قبولنا بهذا الرأي يعني أنهم كانوا أهل تحقيق فليختاروا بين هذه، سيما وأن هذا التصنيف الى سبع فيه دقة توخاها مصنفوها كي تشمل كل أنواع الاختلاف، ومع هذا فلا تتفق وواقع الحال الذي كانوا عليه والله أعلم.

ومن هنا فإنني أصر على ما بدأ به القائلون بهذا الرأي من أن هذه الوجوه إنما هي استقراء واستنتاج لما تختلف فيه القراءات عن بعضها، وهي ناتجة عن وجود هذه الأحرف لا أنها محصورة في هذه الوجوه من التغاير.

الفصل الخامس

الرأي الذي نرتضيه ودليله

بناء على ما سبق تقريره من ضرورة ان يكون معنى الأحرف مستوعباً لأنواع الاختلاف ومتمشيا مع حكم نزول القرآن عليها، ولما رأينا بأن ليس هناك رأي يستوعبها، لا من هذه - وهي الأهم والجديرة بالدراسة - ولا من غيرها مما لم نتعرض له، فإنه آن لنا أن ندلي بدلونا في هذه المسألة. وقبل ذلك لا بد لنا من تذكر ما يلي:

أ - ورود ما يسمى باللهجات أو الألسن عند معظم من تطرق لهذا المبحث.

ب - أن التيسير في القراءة أمر رئيس في نزول القرآن على

(٦٣) قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي (قُل)، وقرأ الباقون (قال)، انظر، ابن الجزري، النشر، جـ٢، ص ٣٣٠.

(٦٤) وهو كلام قاسم بن ثابت، نقله بهذا اللفظ كل من ابن حجر في فتح الباري، جـ ٩، ص ٢٩، والسيوطي في الاتقان، جـ ١، ص ٦١.

سبعة أحرف.

ج - ليس التيسير وحده هوالمقصود بالتوسعة إنما لحكم أخرى أهمها بيان اعجاز القرآن والإثراء اللغوي والفقهي.

د - إن اللغات التي عليها القرآن اليوم هي أكثر من سبع.

ومن هنا فعلينا أن نبحث عن حل.

لقد نظرت في أقوال بعض العلماء الأقدمين فرأيتهم مضطربين، فأحياناً يذكرون أشياء ثم يعدلون عنها. فهذا ابن حجر يبدأ كلامه عن الأحرف السبعة بقوله: «أي على سبعة أوجه يجوز أن يقرأ بكل وجه منها، وليس المراد أن كل كلمة ولا جملة منه تقرأ على سبعة أوجه، بل المراد أن غاية ما انتهى اليه عدد القراءات في الكلمة الواحدة الى سبعة»[٦٥] ويقول أيضا: «وحاصل ما ذهب اليه هؤلاء أن معنى قوله (أنزل القرآن على سبعة أحرف) أي أنزل موسعا على القارئ أن يقرأه على سبعة أوجه، أي يقرأ بأي حرف أراد منها على البدل من صاحبه، كأنه قال أنزل على هذا الشرط أو على هذه التوسعة وذلك لتسهيل قراءته، إذ لو أخذوا بأن يقرأوه على حرف واحد كأنه قال أنزل على هذا الشرط أو على هذه التوسعة وذلك لتسهيل قراءته، اذ لو أخذوا بأن يقرأوه على حرف واحد لشق عليهم كما تقدم»[٦٦]. وهذا الكلام والذي سبقه جيدان لعمومهما، فهما قريبان من مفاهيم الأحاديث بشكل عام. وليت ابن حجر وقف هنا أو استرسل بناء على هذه المفاهيم، بل نجده فيما بعد يميل الى رأي الطبري[٦٧].

إنني أدعو إلى إعادة النظر في النصوص الواردة في نزول القرآن على سبعة أحرف، وبالتحديد الرواية التي فيها تفصيل ما تم بين عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم، وتوجيه الرسول صلى الله عليه وسلم لهما، فإن ما رافق النص من حادثة عملية لعله يقرب المفهوم الينا. فلندرس الرواية بترو.

إن الحديث ينص على أن عمر تعجب من قراءة هشام وأنكرها لأنها تخالف ما أقرأه إياه الرسول صلى الله عليه وسلم، والرسول عليه الصلاة والسلام قال لكل منهما بعد أن أمره بالقراءة: كذلك أنزلت أو هكذا أنزلت، فلم لا نفهم وبدون تعقيد أن قراءة هشام كانت طريقة أو كيفية أو وجها، وقراءة عمر كانت طريقة أخرى أو كيفية أخرى أو وجها آخر في القراءة يختلف في أشياء (وجوه) عن قراءة هشام، والرسول صلى الله عليه وسلم بعد تصويبه قرائتيهما قال معقبا: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه»، وفهم كل منهما معنى الحديث وانتهى الإشكال عند عمر رضي الله عنه.

يقول ابن حجر معلقا على الحديث: «وكان سبب اختلاف قراءتهما أن عمر حفظ هذه السورة من رسول الله صلى الله عليه وسلم قديما ثم لم يسمع ما نزل فيها بخلاف ما حفظه وشاهده، ولأن هشاما من مسلمة الفتح فكان النبي صلى الله عليه وسلم اقراه على ما نزل أخيراً، فنشأ اختلافهما من ذلك. ومبادرة عمر للانكار محمولة على أنه لم يكن سمع حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف الا في هذه الوقعة»[٦٨].

أجل، لم لا نقول بأن الحرف معناه الوجه من القراءة والطريقة المشتملة على أنواع الاختلاف بدون تحديد لها. وحتى اللغة تقبل هذا المعنى فمن معاني الحرف الوجه[٦٩]، ويستدل القائلون بذلك بقوله تعالى: (ومن الناس من يعبد الله على حرف) (الحج، آية ١١).

ومن هنا فإننا بتبنينا لهذا المعنى نخلص من كثير من الانتقادات كتلك التي وجهت للآراء الأخرى، فهي سبعة أوجه في حدها الأعلى، فإن كان الوجه الواحد ممكنا عند الألسن الأخرى وشاملا للحكمة التي يريدها الله من معنى ذلك اللفظ كان ذلك كفاية، وإن كانت هناك حاجة الى التوسعة بوجهين، كان ذلك، وهكذا بثلاثة وسبعة في الحد الأبعد، ومن هنا نستعين بتأويلات السابقين كابن حجر مثلاً فيما اقتبسناه عنه قبل قليل.

فهذه الاختلافات التي نتجت عن نزول القرآن على عدة وجوه هي التي نقلت فيما بعد وشكلت القراءات المختلفة، ولا يعني ذلك أن الأحرف هي القراءات بل القراءات هي حصيلة ما تجمع عند الرواة من كيفيات لقراءة النص الواحد، بمعنى أن قد يكون عند القارئ الواحد أكثر من وجه مما قد قرأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولذلك نجد عدة روايات عن قارئ واحد كعاصم مثلا أو غيره من السبعة أو العشرة. وهذا الذي تطمئن اليه النفس في سبب اختلافهم بل اختلاف رواة القارئ الواحد.

هذه الوجوه من الاختلافات التي لربما تتضمنها القراءة على أكثر من طريقة تحتوي على عدة لهجات وليس بالضرورة قصرها على سبع. وتحتوي على ما كان من زيادة لفظ في

(٦٥) العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري، جـ٩، ص ٢٣.

(٦٦) المصدر السابق، جـ ٩، ص ٢٨.

(٦٧) انظر، العسقلاني، فتح الباري، جـ٩، ص ٢٦، ٣٠.

(٦٨) العسقلاني، فتح الباري، جـ ٩، ص ٢٦.

(٦٩) انظر في معنى (حرف) كلا من: الراغب الأصفهاني في المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت، ص ١١٤، والرازي في مختار الصحاح، ص ١٣١، ابن منظور في لسان العرب، جـ٩، ص ٤١، تأويل مشكل القرآن، ص ٣٠.

وجه ونقصانه من الوجه الآخر، وتحتوي على اختلاف الكلمات والتي قال عنها أصحاب الآراء الأخرى فيما بعد باختلاف تنقيط الكلمة، وتحتوي على وجوه الإعراب ففي وجه من القراءة قرئ بوجه من الاعراب وعلى وجه - طريقة أخرى - قرئ بوجه آخر، وتحتوي على اختلاف المعنى وإثرائه بأية وسيلة أخرى كالخطاب والغيبة على كل وجه من القراءة، أو اختلاف التصريف، وكل ذلك مقصود. وقل مثل ذلك في الافراد والجمع وما شابهه.

إن أخذنا بهذا المعنى يجيب عن الاشكالات التي انتقدت الآراء الأخرى بها، وعن سبب اختلاف القراءة كما ذكرنا، وكذلك عن حقيقة ما الذي فعله عثمان رضي الله عنه، فإضافة الى ترتيب السور، فقد رسم المصحف بشكل يشمل ما ثبتت قرآنيته في العرضة الأخيرة وترك ما سواه مما نسخ في تلك العرضة كما أشار الى ذلك ابن الجزري وابن حجر[٧٠]، أو مما كان يقرأ به البعض وكان يقرأ على أنه من التفسير. ومن هنا كان الرسم بهذا الشكل كي يحتمل الأوجه الأخرى التي قرئت عليها. وأما ما لا يمكن جمعه في مصحف واحد من التي أرسلها الى الأمصار وبالتحديد ما كان من قبيل الزيادة أو النقصان فكان يخص بعض المصاحف بها دون بعض، وهذا الذي يفسر لنا اجماع علماء القراءات وهم يذكرون اختلاف القراء في هذا الجانب معقبين (وكذا هي في مصاحفهم) أو (وكذلك هي في مصحف المدينة أو مكة) وهكذا[٧١].

ومن النصوص التي ربما تعين على فهم ما ذهبنا اليه ما عقب به ابن حجر على حديث الأحرف فقال: «وكأنه انتهى عند السبع لعلمه أنه لا تحتاج لفظة من الفاظه إلى أكثر من ذلك غالباً»[٧٢].

ويزيد ابن حجر الأمر وضوحاً بقوله: «ولو كان المراد أن كل كلمة منه تقرأ على سبعة أوجه لقال مثلا انزل سبعة أحرف، وإنما المراد أن يأتي في الكلمة وجه أو وجهان أو ثلاثة أو أكثر إلى سبعة[٧٣].

ويذكر النووي نقلاً عن الداودي ما يؤكد ما ذهبنا اليه بشأن التوفيق بين مفهومي الأحرف والقراءات فيقول: «وهذه القراءات السبع التي يقرأ الناس اليوم بها ليس كل حرف منها هو أحد تلك السبعة بل تكون مفرقة فيها»[٧٤] وهذا ابن تيمية يقول: «ليست هذه القراءات السبعة هي مجموع حرف واحد من الأحرف السبعة التي أنزل القرآن عليها باتفاق العلماء المعتبرين»[٧٥] بمعنى أنها أكثر من حرف أو تجمع اخلاطا من الحروف.

وثمة اعتراض أو شبهة ذكرها العلماء قديما حول أن بعض الكلمات تقرأ بأكثر من سبعة وجوه، فأجاب العلماء بأن ذلك اما لم يثبت، أو أنه مما كان يقرأ على أنه من قبيل التفسير، ذكر هذا ابن حجر وغيره[٧٦]، و لقد رجعت وتحققت من بعض الكلمات التي يوردونها على أن فيها أكثر من سبعة أوجه من القراءة مثل (عبد الطاغوت) (المائدة، آية ٦٠)، فما وجدت فيها ما ذكروا[٧٧].

ومن هنا أجد أن القول بأن الأحرف السبعة هي وجوه قراءة سبعة في حدها الأقصى قرأها الرسول صلى الله عليه وسلم، وكل وجه قد يختلف عن غيره في أي شيء من أنواع الاختلاف من اللهجات أو اختلاف الكلمات أو اعرابها.. وكل ذلك موحى به الى النبي صلى الله عليه وسلم. وهذا الرأي لم يأت من فراغ فقد أصله ابن حجر وان لم يبق عليه وهو الذي له تأصيل في اللغة، وهو الذي يشمل كل أنواع الاختلافات وبدون تحديد لها.

الخاتمة

بعد هذا العرض لتلك المسائل المتعلقة بالأحرف السبعة في القرآن فإني أبرز النقاط التالية لتكون نتائج لهذا البحث :

١ - نزول القرآن على سبعة أحرف حقيقة لا سبيل الى انكارها عند أهل السنة، لورود الأخبار الصحيحة بها واستفاضتها ولإجماع أهل السنة عليها.

---

(٧٠) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، جـ١، ص ٣٢، وفتح الباري، جـ ٩، ص ٣٠.

(٧١) دران، محمد عبد الله، مدخل الى القرآن الكريم، دار القلم، الكويت، ص ٢٤-٤٣، ١٩٨٤.

(٧٢) العسقلاني، فتح الباري، جـ ٩، ص ٢٧.

(٧٣) المصدر السابق، جـ ٩، ص ٢٨.

(٧٤) انظر النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، جـ٦، ص ١٠٠. وانظر في هذا الأمر كذلك مقدمة، الكبيسي، عمر حمدان، على كتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها، للامام نصر بن علي الشيرازي، ط ١، جدة، جـ١، ص ٢٠، ١٩٩٣.

(٧٥) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ ١٣، ص ٤٠١.

(٧٦) العسقلاني، فتح الباري، جـ ٩، ص ٢٣.

(٧٧) هناك قراءتان متواترتان في الآية، قرأ حمزة: (عبُدَ الطاغوتِ)، وقرأ الباقون: (وعبَدَ الطاغوتَ)، انظر النشر، جـ ٢، ص ٢٥٥. وانظر مثالاً آخر كلمة (اف) وتكررت في الاسراء، آية ٢٣، الأنبياء، آية ٦٧، الاحقاف، آية ١٧، فالمتواتر فيها ما يلي: قرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب: (أفٌ) بفتح الفاء من غير تنوين، وقرأ المدنيان وحفص: (أفٌ) بكسر الفاء مع التنوين، وقرأ الباقون: (أفٍّ) بكسر الفاء من غير تنوين، انظر النشر، جـ٢، ص ٣٠٦-٣٠٧.

٢ – لا يمكن أن يكون مفهوم الأحرف السبعة من المتشابه، فهو أمر مهم تدور حوله عدة مسائل أهمها قراءة القرآن وهو الأمر التعبدي الذي لا غنى لمسلم عنه ولذا وجب فهم هذه الأحرف.

٣ – بناء على النقطة السابقة وأن الرسول صلى الله عليه وسلم خاطب أصحابه بما يفهمون، ولم يناقشوه في معنى الأحرف، فهذا يدل على فهمهم المباشر لها، ولقد شرع العلماء في بيان المقصود من الأحرف وتضاربت آراؤهم فيها، فمن قائل بأنها مترادفات والمعنى واحد وقائل بأنها سبع لغات متفرقة في القرآن، وقائل بأنها أوجه التغاير السبعة بين القراءات وهكذا.

٤ – الآراء السابقة قاصرة عن استيفاء معنى الأحرف، لأن مفهومها يجب أن يكون المظلة لكل الاختلافات المروية عند القراء المعتبرين، فالقراءة سنة يأخذها الآخر عن الأول، وكلها (المتواتر منها) ثابتة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، ونعلم أنه عليه الصلاة والسلام لم يوجه المختلفين من صحبه الكرام لفض النزاع الا بقوله بأن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فعلم بالضرورة ان اختلاف القراءات راجع الى الأحرف.

٥ – الرأي القائل بأن الأحرف سبع لغات في المعنى الواحد والآخر القائل بأنها سبع لغات متفرقة في القرآن قاصران عن شمول أنواع الاختلاف ولذا فلا تؤهلهما لمعنى الأحرف. أما الرأي القائل بأنها أوجه التغاير السبعة، فأصحاب هذا الرأي اختلفوا في تحديد السبعة، وأمثلتهم التي يوردونها بعضها لم يثبت، والأجدر بهذا الرأي أن يكون نتيجة لوجود الأحرف، وأصحاب هذا الرأي يصرحون بأنهم بنوه على ما لاحظوه من وجوه الاختلاف بين القراءات، بينما نحن بحاجة الى معرفة حقيقة هذه الأحرف.

٦ – الرأي الذي نرجحه ويمكن قبوله ولا يناقض العقل ولا اللغة، بل هو الذي يتمشى مع الروايات الواردة في الأحرف السبعة أن الأحرف هي وجوه من القراءة مختلفة، قرأ بها الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي في حدها الأعلى في الكلمة الواحدة سبعة، وهي ليست القراءات السبع بل السبع والعشر وغيرها راجع الى اختلاف وجوه القراءة التي قرأها الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد تكون قراءة واحد من المتأخرين حاوية لأكثر من وجه من تلك الوجوه، إذ هي روايات عما قرأه السابقون وهكذا. وهذه الأحرف – وجوه القراءة أو طرقها أو كيفياتها – شاملة لكل أنواع الاختلاف الذي لاحظه العلماء، فقراءة على وجه تختلف عن قراءة على وجه آخر وعن ثالث وهكذا الى سبعة ان لزم الأمر واقتضت حكمة التوسعة وحكمة الاعجاز، والله أعلم.

The Revealation of The Qur'an by Seven Ahruf
A New Attempt of Understanding

Mohammad Khazar Al-Majali*

ABSTRACT

This research aims to find a reasonable meaning for the 7-(Ahruf) whereby the Qur'an has been revealed, a matter still mysterious for scholars.

The study has demonstrated that, previous efforts were insufficient to give the reality of these Ahruf, because their meaning must include all aspects of recitation and because their source was the Prophet, and through the Spirit.

The opinion which we have is that the 7-Ahruf are 7 ways or aspects of reciting one word without any contradiction in meaning. These aspects are the maximum according to what the word needs to extend its recitation. This diversity of recitation contained all aspects which have been mentioned by previous scholars. These aspects were related by every generation to another, and finally related by the 7 and 10 recitors.

* Assistant Professor, Faculty of Shari'ah, University of Jordan. Received on 15/1/1995 and Accepted for Publication on 8/1/1996.